

رثاء الأولاد بين ابن نباتة المصرى والحقانى الشروانى؛ دراسة مقارنة

عبدالقادر پريز (الكاتب المسؤل)*

حامد كمالى مسكونى**

الملخص

يعتبر ابن نباتة المصرى من شعراء العصر المملوكى الذى اتجه إلى غرض الرثاء وذلك لأنه واجه وفاة أحبائه من أبنائه وزوجته وجارته فى حياته الشخصية وصور فى شعره الرثائى مدى الفاجعة وأثرها عليه. رثاء ابن نباتة لأولاده يتصف بالأوصاف الصادقة وينبع من ألم الفراق، فرثاهم بقلب مفجوع حيث كاد قلبه يتفجر من الحزن. من ناحية أخرى نرى أن الشاعر الفارسى "الحقانى الشروانى" يرثى أحبائه وأقربائه الذين فارقوا الحياة. إنه فقد ابنه أمير رشيد الدين وذلك دفع الشاعر إلى إنشاد قصائد رثائية التى سميت أبرزها "بترنم المصائب". من خلال هذه الدراسة نهدف إلى مقارنة الرثاء وخصائصه فى شعر ابن نباتة المصرى والحقانى الشروانى على أساس المدرسة الأمريكية للأدب المقارن للإجابة على بعض الأسئلة، منها: كيف تكون القصائد الرثائية للشاعرين، وأيهما الأفضل فى هذا الغرض؟ وما هو وجوه التفارق والتشابه بين مرثى الشاعرين لأولادهما؟ وحصلت نتائج البحث على أن الحقانى تفوق نظيره العربى فى رثائه لأولاده حيث أن الحقانى يبرز العواطف الإنسانية فى رثائه أكثر من ابن نباتة وقام الحقانى بالإبداع فى هذا الفن.

الكلمات الدليلية: رثاء الأولاد، ابن نباتة المصرى، الحقانى الشروانى، مقارنة الشعر العربى والفارسى.

*. أستاذ مساعد فى اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائى، طهران، إيران.

ghpariz@yahoo.com

** خريج مرحلة الماجستير فى اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائى، طهران، إيران.

تاريخ القبول: ١٣٩٦/٦/٢٤ش

تاريخ الاستلام: ١٣٩٦/٢/١٢ش

المقدمة

تعددت أغراض الشعر في الأدب العربي والفارسي ومنها الرثاء الذي يقول في خصائصه حازم القرطاجني: «وأما الرثاء فيجب أن يكون شاجي الأفاويل مبكى المعاني مثيرا للتباريح وأن يكون بألفاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب ملذوذ وأن يستفتح فيه الدلالة على المقصد ولا يصدر بنسيب لأنه مناقض لغرض الرثاء.» (القرطاجني، لاتا: ٣٥١) هذا بالنسبة للرثاء بصورة عامة أما حينما نصل إلى الرثاء للابن فنرى أنه فلذة كبذ والده وسنده الذي يكنى به والذى ينال الرحمة بالدعاء منه. يقول عبدالرشيد عبدالعزيز في هذا السياق ويضيف: «والذى لاشك فيه أن رثاء الأهل في الشعر نابض بالحياة ورثاء الأبناء أشد لوعة وألما وحرقة.» (سالم، ١٩٨٨: ١٤) دليل هذا الموضوع يرجع إلى أن الإنسان يشعر بأن ابنه وأولاده جزء منه يرفع شأنه ويعنى قدره فكيف يشعر بفقدانه وكما من الكلمات المنظومة تكفى لرثائه وهل تشفى غليل أب يحترق فؤاده ويكسى من صميم قلبه. ونرى ابن رشيق القيرواني يقول فيه: «ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى طفلا أو امرأة لضيق الكلام عليه فيهما وقلة الصفات.» (القيرواني، ١٩٨٨: ٢/١٥٤)

لأن المجال يضيق في ذكر محاسن الطفل وأعماله وعلمه وشجاعته لأنه مازال صغيرا أما إذا كان كبيرا فذلك حسن في الرثاء ويجيد الأب في رثاء ابنه لأنه يوقل الرثاء وفؤاده يحترق حزنا على ولده.

فالرثاء هو البكاء على الميت وذكر محامده والنوح والتأسف على موته فلهذا يمكن القول بأن الرثاء هو الشعر الذي يقال في الميت الذى فارق الحياة. حظى رثاء الأولاد والأبناء باهتمام كثير من قبل شعراء اللغتين العربية والفارسية حيث نكاد نراهم يفقدون أبنائهم حتى يلجأون إلى رثائهم بأشعار محزنة ويقصدون بإنشاد هذا النوع من الشعر أن تتسلى أنفسهم من جانب ويحيون ذاكرة الفقيد في الأذهان من جانب آخر. ليس هؤلاء بقليل لا في الأدب الفارسي ولا في الأدب العربي فنرى في الأدب الفارسي "الحخاقاني الشرواني" الذى يتوسل برثاء ولده الذى فارق الحياة فى عنقوان حياته باسم "رشيد الدين" لتتسلى نفسه. فالشاعر يعبر عن أحزانه التى سخرت كل جسمه ونفسه

في قصائد رثائية أليمة، قصائد تظهر مدى أثر موت ولد الشاعر فيه وطريقة تفاعله مع هذه الفاجعة الحزينة. أما في الأدب العربى فنرى مثلا ابن نباتة المصرى شاعر العصر المملوكى الذى فقد أبنائه في حياته وأرغمه الدهر بالبكاء والنوح على موتهم. فهو كالحاقانى اتجه إلى القصائد الرثائية للتعبير عن أحزانه النفسية في موت أحيائه.

أسئلة البحث

أما الأسئلة التى دفعت الباحثين إلى اختيار هذا الموضوع فهى:
ما هو اتجاه الشاعرين في قصائدهما الرثائية؟
أيهما الأفضل في هذا الغرض؟
ما هو وجوه التفارق والتشابه بين مرثى الشاعرين لأولادهما؟

الفرضيات

يبدو أنّ كل ما يسيطر على رثاء الأولاد في شعر الحقانى هو التعبير عن الحزن والحداد ودعوة الجميع بالحداد على المتوفى مع أنه يسيطر الاتجاه الفردى على رثاء ابن نباتة لأولاده.

إن رثاء الحقانى لولده يتمتع بالصور البديعية والتصاوير الإبداعية التى لا أثر لها في رثاء ابن نباتة لأولاده فالفضل في هذا الغرض يرجع إلى الحقانى.
يوجد بين مرثى الشاعرين لأولادهما وجوه التفارق والتشابه ومن أهم وجوه التشابه بين مرثى الشاعرين هو تشبيه الأولاد المتوفية بالمظاهر المختلفة والشعور بالذنب ومن وجوه الافتراق بين مرثييهما هو الاتجاه في الرثاء والأسلوب الخطابى وعمق الرثاء.

خلفية البحث

تمت دراسات كثيرة في موضوع رثاء الأولاد في شعر شعراء العرب والفرس وكذلك في شعر هذين الشاعرين إلا أنه لاتعالج الرثاء في شعر كلا هذين الشاعرين. هنا نذكر بعض هذه الدراسات التى اقتربت بموضوع المقالة:

عبدالعزیز الرشید عبدالعزیز سالمألف كتاب "شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم" سنة ١٩٨٧م في الكويت وأشار فيه إلى الرثاء في الشعر العربي بأدواره المختلفة. كما نرى نصر الله إمامي في كتاب «مرثيه سرايى دراديبات فارسى (تا پايان قرن هشتم)» (الرثاء في الأدب الفارسى حتى القرن الثامن) سنة ١٣٦٩ش في أهواز وأشار فيه إلى الرثاء في شعر الخاقاني أيضا. رسالة ماجستير تحت عنوان «رثاء الأولاد في الشعر العربي الحديث» كتبها "رنا سالم المعطاني" سنة ١٤٣٤-١٤٣٥ق في جامعة أم القرى السعودية حيث نراها تدرس الرثاء في عصور الجاهلي و صدر الإسلام وبنى أمية والعباسي والحديث وتأتي بالشواهد الشعرية من كل عصر إلا أنه لا تشير إلى العصر المملوكي الذي عاش فيه ابن نباتة. أما الفرق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة فهو أن هذه الدراسة قامت بمقارنة قصائد الشعراء في الرثاء إلا أنه لا يرى هذا النوع من المقارنة بين هذين الشعراء في الدراسات السابقة فهذا يعتبر البحث الحالي بحث جديد وحديث في هذا الصعيد.

منهج البحث

منهج البحث في هذه الدراسة هو الوصفي - التحليلي الذي يتبنى على مدرسة المقارنة الأمريكية حيث أنه تذكر أبيات من الشعراء وتوصف على أساس المشابهة بما أنه هذه المدرسة الأمريكية لا تهتم بالعلاقات الأدبية المختلفة على أساس التأثير والتأثر على تقيض المدرسة الفرنسية في هذا المجال بل مبدأ المشابهة هو الأساس في هذه المدرسة و«هذا المبدأ التشابهي جعل الأدب أن يدرس مع المعارف الأخرى منها الفنون الجميلة كالموسيقى والرقص والبناء وأن يدرس علاقة الأدب بالعلوم التجريبية من خلال الدراسات الأدبية والنقدية؛ فيربط أدب المقارن في المدرسة الأمريكية بالنقد الحديث ربطا رصينا.» (علوش، ١٩٨٧م: ٩٣)

أنظر "هنري مارك" الذي يهتم بالأدب المقارن الأمريكي كيف يبين هذا النوع من الأدب ويقول: «الأدب المقارن هو دراسة الأدب في خارج حدود البلاد ومطالعة علاقة الأدب بالمعارف البشرية مثل الفنون (الرسم، والموسيقى، والبناء)، والفلسفة،

والتاريخ، والعلوم الاجتماعية (السياسة، والاقتصاد وعلم الاجتماع و...)، العلوم والأديان وبالتالي يعنى الأدب المقارن بمقارنة أدب البلاد مع الأدب فى بلد واحد أو فى عدة بلاد وقياس الأدب بالمعارف البشرية الأخرى.» (خطيب، ١٩٩٩م: ٥٠)

أما هذه الدراسة فقد جاءت فى بضعة فروع بدأت بذكر المعنى اللغوى والاصطلاحى للرثاء ثم تناول البحث نبذة عن حياة الشاعرين، إذ من المهم قبل الدخول فى ذكر مضامين الرثاء التى أنشدها هذان الشاعران، استعراض حياتهما، حيث اتصل الكثير من أفكارهما بحياتهما فدراسة شعرهما لا يمكن أن تستقيم ما لم نلم بظروف أحاطت بحياتهما وهى فقدان أولادهما ثم تناول البحث بذكر وجوه الافتراق ووجوه التشابه فى رثاء الشاعرين مع إيراد نماذج من شعرهما فى هذا المجال.

الرثاء لغة ومصطلحاً

يقال رثى فلانٌ فلاناً يرثيه مريثيةً إذا بكاه بعد موته، قال: فإن مدحه بعد موته قيل رثاً يرثيه تربيةً ورثيت الميت ورثاهُ ومرثاة ورثيته: مدحته بعد الموت وبكيتته ورثوتُ الميت أيضاً إذا بكيتته وعددت محاسنه وكذلك إذا نظمتُ فيه شعراً ورثت المرأة جعلها تربيةً ورثيته ترثاة رثاية فيهما. (الزبيدي، ١٤٢٢ق: مادة رثا)

الرثاء اصطلاحاً هو البكاء على الميت وتعداد حسناته معا وفى آن واحد سواء بالشعر أو بالنثر. (حسن غنيم، لاتا: ٣٤)

ابن نباتة المصرى والحقانى

ابن نباتة المصرى (٦٨٦-٧٦٨ق/١٢٨٧-١٣٦٦م) هو أبوبكر جمال الدين القرشى. ولد فى ميفارقين من (حى القمامة) فى القدس. نشأ ابن نباتة فى بيت يرفل بالثروة والجاه بين أسرة ظاهرة النفوذ وفى ظل أب عطوف ذاع صيته فى العلم والفضل والأدب وكثيراً ما فخر بأبيه وآله وبمجد بيته. قال ابن نباتة الشعر فى صباه وقد اجتاز الثالثة عشرة من عمره مما يدل على موهبة صادقة وفطرة خالصة وإطلاع واسع وقد نال فى القاهرة قسطاً وافراً من الثقاة الدينية والأدبية وأخذ العلم والمعرفة عن أشهر أعلام

العصر. وقيل فتح مكتبا للتعليم ونجح فيه. «وهكذا نشأ بمصر، ورحل إلى دمشق، ثم اتصل بالملك المؤيد أمير حماة، وكان كاتباً له، ثم دعاه السلطان حسن في مصر ليكتب له فلبى الدعوة لكن السلطان مات في السنة التالية وقد توفي ابن نباتة في مصر سنة ١٣٦٦م.» (الفاخوري، ١٤٢٧ق: ١٠٥٠)

قصة هذا الشاعر قصة محزنة جدا كان يرزق بالأولاد وما إن يتم ابنه السادسة من العمر يتوفاه الله ورزق بولده الثامن وسماه عبدالرحيم وتجاوز السادسة من عمره فأرأى فيه امتداداً لحياته وما إن بلغ عبدالرحيم الثامنة من عمره توفاه الله ولحقته زوجته وجاريتته فالشاعر لم يتحمل ما أصابه فأقام بين القبور ورثاهم بقصائد.

ولد حسان العجم أفضل الدين بديل بن علي خاقاني الحقاقي الشرواني سنة ٥٢٠ق، في تبريز (الكرزاي، ١٣٦٨ش: ٩) وتوفي سنة ٥٨٢ش في هذه المدينة. «كان أبوه نجاراً فقيراً يسمى علياً وكانت أمه من المسيحين النساطرة الذين أعلنوا إسلامهم.» (صفا، ١٣٧٢ش، ج ٢: ٧٧٧) «وعلى الرغم من حياة والديه الفقيرة فقد حظى الخاقاني بدعم وحماية وتشجيع من قبل عمه كافي الدين عمر بن عثمان الذي كان حكيماً وطبيباً وفيلسوفاً. وبما أن عمه أدرك مواهبه منذ طفولته فسعى في تربيته وحين سمع منه قصائده في مدح النبي الأعظم (ص) وغيرها من القصائد قارنه مع حسان بن ثابت الأنصاري ولقّبه بـ"حسان العجم". وبما أن الخاقاني قد أعجب بهذا اللقب فقد ذكره في أشعاره مراراً.» (استعلامي، ١٣٨٧ش: ١٦) مدح الخاقاني الشرواني أمراء وملوك السلاجقة والحوارزمشاة والشراروة. أنشد "تحفة العراقيين" في مكة، و"ايوان مدائن" في سفره ببغداد. اشتهر الخاقاني في المدح إلا أنه كان رجلاً طموحاً وحراً وأبى الطبع واجتنب الاكتساب بالمدح. (صفا، ١٣٦٢ش: ٧٨٣/٢)

له قصائد في الرثاء والندبة ومنها قصيدة نظمها في رثاء الملك منوشهر الذي كان معاصراً له ورثي أحد علماء مدينة نيسابور والإمام محمد بن يحيى وله ايضاً قصيدة معروفة "بترنم المصائب" يرثي فيها ابنه الذي فارق الحياة في عنفوان حياته فيعبر الشاعر فيها عن أحزانه وتظهر القصيدة مدى أثر موت ولده فيه وطريقة تفاعله مع هذه الفاجعة المؤلمة.

وجوه الافتراق في رثاء الشعراء

إن الله تعالى جعل الأبناء زينة الحياة الدنيا فحب الأبناء عند آبائهم لا يعلوه حب آخر لأنه تعالى قد أودع في قلوب الآباء والأمهات قدرا كبيرا من الرحمة فعندما توفي لأب ولده فإننا نرى فيه أبا حزينا يتفجع ويكابد لفراق ابنه ولو نستمع إلى الكلمة التي يلقيها لوجدنا أن الحزن والألم يسيل من كلامه فهذا حال كل أب فقد ابنه وتتجلى صدق عاطفة الأب تجاه ولده الذي مات ومع ذلك نرى عند كل من فقد ابنه ردة فعل خاصة له تختلف عن سواه من الآباء في كثير من الأحيان. وإننا نريد أن نشير إلى بعض وجوه الافتراق والتشابه في مرثى الشعراء فنبدأ بذكر وجوه الافتراق ومنها:

اتجاه الشعراء

نرى الحقانى أنه في رثائه لأبنائه يدعو الجميع إلى بكاء الدم والعزاء ويدعوهم لإسهامهم في عزائه ويعبر عن هذا في أبيات متعددة فلهذا سيطر على رثاء الحقانى اتجاه جمعى كما يقول:

أرى آتش اجل و باغ ببر فرزند است رفت فرزند شما زيور و فر بگشايد
نعم! النار [في النوم] هو الموت والبستان المثمر هو الأولاد. مات ولدى فاخلعوا
حليكم وحلوا ذوائبكم في مأتمى.

نازينان منا! مرد چراغ دل من همچو شمع از مژه خوناب جگر بگشايد
(الحقانى، ١٣٦٨ش: ١٦٠-١٥٩)

أحبائى، توفي ولدى الذى كان نور قلبى. فصبوا من أعينكم الدموع الدامية كالشمع
الذى يصبّ الدمع حينما يحترق.

في حين نرى ابن نباتة المصرى لا يميل إلى إسهم الآخرين في ألمه وحزنه ويترجح أن يخفى أحزانه من موت ولده في نفسه فلهذا يأبى من إظهار حزنه على فقد أولاده ويفضل التأمل والاستبطان في أحزانه الناشئة من موت أولاده. فسيطر على رثاء ابن نباتة اتجاه فردى خلافا لرثاء الحقانى. انظره كيف يظهر هذا الاتجاه في رثائه:

الله جارك إن دمعى جارى يا موحش الأوطان والأوطار

لما سَكَنْتِ مِنَ التُّرَابِ حَدِيقَةً فَاصَّتْ عَلَيْكَ الْعَيْنُ بِالْأَنْهَارِ
أَبْكِي بِحَمْرٍ الدَّمُوعِ وَإِنَّمَا تَبْكِي الْعُيُونُ نَظِيرَهَا بِنِضَارِ
لَهْفِي لِجَوْهَرَةٍ خَفْتُ فَكَأَنِّي حَجَبْتُهَا مِنْ أَدْمَعِي بِجَارِ

(المصرى، لاتا: ٢١٩)

يوضح الشاعر الحزن الذي لحق به من فقدان ابنه حيث نراه يقول إن ابنه جار الله، وهو دمعه جاره وحين دفن في التراب كانت حديقة فاضت عليها العين والأنهار، ويظهر الشاعر حزنه الكبير علي من فقد من أهله وأنه أصبح في القبور ينادى أهله بانفراده ولا يدعو الآخرين للإسهام في حزنه كما فعله الخاقاني.

وكذلك يعبر الشاعر عن ألمه على فراق ولده في قصيدة أخرى حيث يقول:

أَبْكِيكَ لِلْحَسَنِينَ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ كَمَا بَكَى الرَّوْضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْغَدَقِ
تَبْكِيكَ رَقَّةً لَفْظِي فِي مَهَارِقِهَا يَا غَصْنَ فَاسْمَعِ بَكَاءَ الْوَرَقِ فِي الْوَرَقِ
وَمَا أَوْفِيكَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ وَإِنْ بَكَتْ لَكَ الْعَيْنُ بَعْدَ الْمَاءِ بِالْعَلَقِ
مَا زَالَ مَبِيضٌ دَمْعِي دَاعِيًا لَدَمِي حَتَّى بَكَيتَ ظِلَالَ الْحَسَنِ بِالشَّفَقِ

(المصرى، لاتا: ١٥٦)

وكما يبدو أنه يبكيه وحده ويسمع نوح الحمام على الأوراق منفردا ولا يدعو الكون والحمام وغير ذلك من الجماد والنبات والحيوان لمشاركتهم في حزنه لولده الفقيد.

الأسلوب الخطابي

نرى أن الأسلوب الخطابي من أهم خصائص مراثي الخاقاني وهو يخاطب مخاطبيه في قصائده الرثائية دوماً وأسلوبه الخطابي هو خطاب الجمع:

صَبْحَ غَايِ سِرِّ خُونَابِ جِغَرِ بَغْشَايِيدِ ذَالَهُ صَبْحُ دَمِ أَزْ نَرْغَسِ تَرِ بَغْشَايِيدِ
(الخاقاني، ١٣٦٨: ١٥٧)

يدعو الشاعر الأقرباء والأصدقاء إلى البكاء الصادق على فقد ابنه في الصباح الباكر ويقول: في الصباح الباكر ابكوا بكاء دمويًا وافسحوا المجال لعيونكم أن تجرى دموعكم منها.

استعمل الشاعر في هذا البيت "خوناب" بمعنى البكاء الدموي فهو إضافة مقلوبة في اللغة الفارسية وكذلك استعار "ترگس تر" للعيون الباكية.

سيل خون از جگر آريدسوى بام دماغ ناودان مژه را، راه گذر بگشايد

(نفس المصدر: ١٥٨)

يدعو الشاعر متلقيه إلى البكاء الكثير الدامى في ابنه ويقول: جيئوا بدم كثير من أبادكم إلى سقف الدماغ وافتحوا الطريق لآماق عيونكم لتدقق. في هذا البيت إشارة إلى عقائد القدامى في إيجاد الدمع وإنهم كانوا يعتقدون بأن دم الكبد يحترق وتبخر ويصل إلى الدماغ ويتحول هناك إلى الدمع ويجرى من آماق العيون.

إلا أن ابن نباتة المصري يتغير الخطاب وفقا للموضوع وقد يخاطب الفقيد ويستطرد أبياته الرثائية أو بعبارة أخرى سيطر أسلوب خطاب الفرد على مراثيه حيث يقول:

أبى قَد كَنْزُتْكَ فِي الثَّرَى فَانْفَعِ أَبَاكِبْسَاعَةَ الْإِقْتَارِ
أبى قَد وَقَفْتَ عَلَى حَوَادِثٍ فَوَقَفْنَ مِنْ طَلَلٍ عَلَى آثَارِ

(المصري، لاتا: ٢١٩)

ونراه قد يخاطب قلب الإنسان البصير ويلجأ إلى القصائد الحكيمية التي لا نكاد نراها في شعر الحقاني الرثائي:

أَيْنَ الْمُلُوكُ الرَّافِلُونَ إِلَى الْعُلَى عَثَرُوا إِلَى الْأَجْدَاتِ أَى عَثَارِ
كَانُوا جِبَالًا لَا تُرَامُ فَاصْبِحُوا بِيَدِ الرَّدَى حَفَنَاتِ تَرْبِ هَارِ

(المصري، لاتا: ٧٧٦)

إن الشاعر في هذين البيتين من قصيدته الرثائية التي يرثى فيها ولده الذى مات يسأل أولا: أين الملوك الذين يجرون ذيلهم ويتبخرون في سيرهم إلى المجد والعظمة؟ ثم يجيب على هذا السؤال قائلا: كلهم سقطوا في قبورهم وماتوا وإنهم كانوا في العظمة كالجبال الشامخة ولا يستطيع أحد أن يطلبها ويشتهيها فهكذا جعلهم الموت ملء الكف من التراب المتساقط. ونجد في هذه الإجابة نوعا من الحكمة التي نحن نراها في القرآن الكريم حيث يقول: ﴿وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧) وأيضا يقول: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا

أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ (القصص: ٣٩)

عمق الرثاء

على حد قول الشعراء الذين عاشوا بعد الخاقاني والذين فهموا قدرة شعر الرثاء في التعبير عن المفاهيم والصور والتخييلات في التراكيب والقوالب إن رثاء الخاقاني إضافة على حظه من الفنون التعبيرية والتخيل والتعقل والعواطف فإنه يتجلى فيه مظاهر واسعة وكثيرة من العقائد والتقاليد المذهبية والعادات والطقوس الاجتماعية والتقاليد السوقية التي تتجه إلى اتجاه حزين وملهف. (زنكنة، ١٣٨٩ش: ١١٢) لا نكاد نرى مراثى كمراثى الخاقاني قبله حيث لا نجازف أن نقول إن الخاقاني يعتبر الرائد في هذا المجال في الأدب الفارسي. انظر إلى هذه الأبيات كيف تأخذ بيدك وتقوم بإدخالك في عالم الحزن:

تم از آتش تب سوخته چون عود ونی است

چون نی وعود سرانگشت بخائید همه

خوی به پیشانی وکف بردهنم بس خطر است

به گلاب آن خوی وکف چند زدائید همه

چون صراحی به فواق آمده خون در دهنم

ز آن شما زهر کش جام بلائید همه

(الخاقاني، ١٣٦٨ش: ٤٠٧ و ٤٠٨)

الشاعر ينشد هذه الأبيات بلسان ولده "أمير رشيد" نهاية حياته ويتذكر ذكرياته في

السنوات الماضية مع ولده وهذا يجرح نفسه وروحه، ويقول:

إن جسمي بسبب الحمى الشديدة صار كالعود والقصب نحيفا فهذا السبب اندموا

وتحسروا.

إن وجود العرق على جبهتي والرغوة في فمي خطر مفعع فإلى متى أنتم مشغولون

بإزالتهم عن جبهتي بماء الورد.

وكما يعلو كأس الخمر من فقاعات، لُطِّخَ فمي بالدماء ما جعلكم تتجرعون السم

الزعارف من حدثان الدهر.

بينما نحن لا نرى هذا النوع من العمق فى الرثاء عند الشاعر المملوكى وإنه حذا حذو الشعراء المتقدمين فى مجال الرثاء وقلدهم فى أكثر من شعره فى الأغراض المختلفة. لا يتجلى فى رثاء ابن نباتة كثير من هذه المظاهر التى ذكرت فى رثاء الحقانى. كما لا يتجلى ظاهرة اجتماعية كالعقائد المذهبية وغيرها من العادات والسنن الاجتماعية فى رثائه وليس فى هذا النوع من الشعر مثيل بأشعار الحقانى. فهذا لا يروى ابن نباتة فى هذا الشعر أبداً خلافاً لحقانى. فرثاء الحقانى لأولاده مليئة بالمظاهر المختلفة للحياة فى حين أن رثاء ابن نباتة ليس كذلك إلا ما قل ونذر فإنه قد حذا حذو المتقدمين وذكر معانيهم فقط دون أى إبداع. ها هو ابن نباتة المصرى يقول:

فيا ولدى يا تولدَ حزنِ قلبٍ	فعمَّ أصولُ بيتِكُ و الفروعَا
ومسَّ عيونَ من فارقت شرًّا	فأصبحَ كلُّ إنسانٍ جزوعَا
أما والمجارياتُ بصحنِ خدٍ	بكتُ والمورياتُ ورت ضلوعَا
لقد أطفأ شميعة نور بيتٍ	ردىَّ كم مثلها أطفأ شموعَا

(المصرى، لاتا: ٥٧)

القدرة على إبداع الصور الشعرية

هناك ميزة فى رثاء الحقانى لأولاده وهى «أنه كان للشاعر حضور واضح فى الحوادث والفجائع وفى بعض الأحيان يشاهد الحوادث بعينه فهذا كثر التصوير الإبداعى والصور البديعية فى شعر الحقانى الرثائى كثرة.» (الإمامى، ١٣٦٩ش: ٥٠) وبناء على هذا يعتبر كيفية إبداع المضامين والفحوى بكلمات العبرة والبكاء إحدى الصور المتخيلة والمؤثرة فى مرثى الحقانى لأبنائه إن يعبر عن هذا غلوا وحشوا فى بعض الأحيان. انظره كيف يذكر هذا فى رثائه لولده:

دانه دانه گهر اشک ببارید چنانک گرہ رشتہ تسبیح ز سر بگشایید

(الحقانى، ١٣٦٨ش: ١٥٨)

تدققوا الدموع تدققا غزيرا بفقد ولدى كما هو الحال عندما تفتح عقدة المسبحة،

فتسقط بذورها على رسلها.

از سبيل اشك بر سر توفان واقعه خوناب قبه قبه به شكل حباب شد

(نفس المصدر: ١٥٥)

إن كثرة البكاء بسبب هذه الكارثة المؤلمة جعلت قطرات الدموع الدامية كالحباب عندما تسقط على السيل المتشكل من البكاء .

لا يتجلى هذه الصور البديعية في رثاء ابن نباتة لأولاده فخلا شعره من الإبداع في الاتيان بالصور البديعية الحديثة كغيره من شعراء العصر المملوكي. فرثاء ابن نباتة خال من التصاوير الإبداعية والحيوية. فليس باستطاعة الشاعر التلاعب بالكلمات كالعبرة والبكاء كالحاقاني ولم يخرج الشاعر عن المعاني التقليدية لرثاء الأولاد فقد تأثر بمن سبقه من الشعراء:

أبكيك للحسنين الخلق والخلق كما بكى الروض صوب العارض الغدق
تبكيك رقة لفظي في مهارتها يا غصن فاسمع بكاء الورق في الورق
وما أوفيك يا عبدالرحيم وإن بكت لك العين بعد الماء بالعلق

(المصري، لاتا: ١٥٦)

تتجلى صدق عاطفة الشاعر تجاه ولده الذي يبكيه بحسرة لجمال خلقه وأخلاقه ويشبهه بكاء بالروض عندما ينزل المطر الغزير عليه، وهو يبكيه بألفاظه وشعره فيسمع نوح الحمام وصوتها الحزين على الأوراق كأنها تشاركه أحزانه. كما يبدو يخلو رثاء ابن نباتة من حيوية رثاء الحاقاني وعبر عن معان بسيطة يخطر ببال أى شاعر بسيط ولا يحتاج إلى التأمل لفهمه وهذا يختلف عن الشعر الحاقاني اختلافا جذريا.

وجوه التشابه

تشابهت مراثى الشعارين في بعض المعاني والمفاهيم والدلالات الرثائية تشابها ملموسا حيث أنه يظن المتفحص في أشعار الشعارين الرثائية أن الشاعر العربي كان قد تأثر من الشاعر الفارسي ولئن لا يستبعد هذا إلا أن فقد الصور البديعية والمتنوعة في شعر رثائي لابن نباتة لا يؤيد هذا الدعوى.

البكاء والتنهّد

يعد التّنهّد والبكاء من السلوكيات الأكثر شيوعاً للأشخاص الذين فقدوا أحبائهم. هذا السلوك ما كان مستورا من الشعارين. مرثى الحقانى مليئة بالدموع والآهات وانعكست صور متعددة من بكائه فى أشعاره إلا أن أجمل هذه الصور عن البكاء تجلت فى مرثية أشاد لابنه الرشيد، فالشاعر يبدع فيه ويمر على لسانه أقوال لا تخطر ببال أحد:

گریه گه گه نکند یاری از آن گریم خون

که چو خواهم مددی ساخته تر می نرسد

آه از این گریه که گه بندد وگه بگشاید

گه به کعب آید وگاهی به کمر می نرسد

اشک چون طفل که ناخوانده به یک تک بدود

باز چون خوانمش از دیده به بر می نرسد

(الحقانى، ۱۳۶۸ش: ۵۴۲ و ۵۴۳)

إن البكاء فى بعض الأحيان لا یساعدنى وبما أننى أرجو منه المساعدة ولا یعینى

فأنا أبكى دما.

واحسرتاه على هذا البكاء الذى یغلق حینا ویفتح حینا آخر ویصل أثره حینا

بسبب کثرته إلى الکعب وحيناً آخر لا یصل إلى الخاصرة.

الدمع كالطفل ینساب دون أى دلیل وإذا أريد منه أن ینساب لا یجری من العین .

وفى موضع آخر كما سبق یقول عنه:

صبح گاهی سرخوناب جگر بگشاید ژاله صبح دم از نرگس تر بگشاید

دانه دانه گهر اشک ببارید چنانک گره رشته تسبیح ز سر بگشاید

اسمحو للدماء أن تتدفق من الأحشاء فجرا واجعلوا أعینکم عرضة للدموع صباحا.

تدفقوا الدموع تدفقا غزیرا بفقد ولدی كما هو الحال عندما تفتح عقدة المسبحة،

فتسقط بذورها على رسلها.

(الحقانى، ۱۳۶۸ش: ۱۵۸)

كما يبكي ابن نباتة من فقد ولده ويذكر بابيات جميلة تعبر عن مدى حزنه في موت ولده ويقول:

أبكيك للحسنين الخلقو الخلق كما بكى الروض صوب العارض الغدق
تبكيك رقة لفظى في مهارقها يا غصن فاسمع بكاء الورق في الورق
مازال مبيض دمعى داعياً لدمى حتى بكيت ظلال الحسن بالشفق
وحددت فوق خدى للبكاء طرقحتى رويت حديث الحزن عن طرق

نراه في موضع آخر يرثى ولدا له مات صغيرا وهكذا يقول:

أبكيك ما بكت الحمام هديلها وأحن ما حنت إلى الأوكار
أبكى بمحمر الدموع وإنما تبكى العيون نظيرها بنضار

(المصرى، لاتا: ٢١٨)

يتجلى صدق عاطفة ابن نباتة تجاه ولده الذى يبكيه بحسرة لجمال خلقه وأخلاقه ويشبه بكاءه بالروض عندما ينزل المطر الغزير عليه، وهو يبكيه بألفاظه وشعره فيسمع نوح الحمام وصوتها الحزين على الأوراق كأنها تشاركه أحزانه وهو يؤكد أن حزنه مستمر لا ينقطع لعظم المصيبة الواقعة عليه فهو لا يفتأ يبكى ويتذكر فقيدته فحزنه ثابت ومتجدد فتندفق عواطفه تجاه ولده بحرارة مصورة آلامه النفسية فهو يستعين بما يملك من إمكانات نفسية وفنية ليعبر عن تجربته المريرة بالفقدان.

موت الولد فاجعة

ورد عن فاجعة في لسان العرب هكذا: الفجعة الرزية الموجهة بما يكره فجعته يفعه فجعاً فهو مفعوع وفجيع وفجعه وهى الفجعة وكذلك التفجيع وفجعته المصيبة أى أوجعته والفواجع المصائب المؤلمة التى تفجع الإنسان بما يعز عليه من مال أو حميم الواحدة فاجعة وفى التهذيب ودهر فاجع له حميم فالفاجعة هى المصيبة المؤلمة توجع الانسان بفقد ما يعز عليه من مال أو حميم. (ابن منظور، لاتا: ٢٤٥) يعتبر الخاقاني موت ولده فاجعة فعلى الجميع أن يغيروا كل شىء من أجل فوت ابنه و يعطلوا كل شىء قائلاً:

خبر مرگ جگر گوشه من گوش كنيد شد جگر چشمه خون، چشم عبر بگشايد
باد غم جست در هو و طرب بر بنديد موج خون خاست سر بهو و طرز بگشايد
(خاقانى، ١٣٦٨: ١٦٠)

اسمعوا خبر موت فلذتى واسمعوا هذا الخبر بعين الاعتبار حيث كبدى صار بهذا
الخبر منهلا للدماء.

هبت رباح الحزن فأغلقوا أبواب اللهو وعطلوا الطرب وارتفعت أمواج من الدم
فافتحوا أبواب الطرق.

وهكذا يعتبر الشاعر ابن نباتة المصرى موت ولده الفاجعة التى فوجئ بها الشاعر
فبناء على هذا يفرق بين ما أصابه والآخريين حينما يرثى ولدا له مات صغيرا ويقول:
كم نائح كالصدى مثلى على ولدٍ يقول واحرقى إن قلت واحرقى
ولا كمثلى في حزن فجعته به لكن أعلق صبرى فيه بالعلق
(المصرى، لاتا: ٣٤٨)

تشبيه الولد بالمظاهر المختلفة

الرثاء هو تعداد خصال الميت بما كان يتصف به من صفات: كالكرم، والشجاعة،
والعفة، والعدل، والعقل. قد يتوسل الشاعر الرأى إلى تشبيه الميت بالمظاهر الطبيعية
والأشياء المختلفة للتعبير عن هذه الخصال حيث أن هذه المظاهر تدل على خصائص،
كما نرى فى أشعار الشعارين فنرى أن الشاعر الحقانى يشبه ولده بمظاهر الطبيعة
كالقمر والربيع والجوهرة والنجم ويقول فيه:

آنك آن مركب چوبين كه سوارش قمر است ره دروازه برآن تنگ مقر بگشايد
شد شكسته گهرم دست بر آرید زجيب سرزنان ندبه كنان جيب گهر بگشايد
(خاقانى، ١٣٦٨: ١٦٢)

يعتبر الشاعر التابوت المركب الخشبى الذى وضع ولده الميت فيه ويقول:

افتحوا البوابة لحمل التابوت الذى يضيق على القمر الذى وضع فيه.

انكسر جوهرى وولدى وفقدت شأنى ومكاتبى بواسطة موته فمزقوا جيوبكم وأنتم

ضاربون رؤوسكم ونادبون.

وهذه الميزة مفهومة في مراثي ابن نباتة المصرى والشاعر العربى يشبه ولده الذى فارق الحياة بالهلل وفرع النبات والنهر وغيرها من مظاهر الحياة تماما كمل فعل الخاقانى الشروانى حيث يقول:

كنتَ الهلالَ لأفقٍ فعارضَ الأفقُ سعدكُ
وكنْتَ فرعَ نباتٍ فأذبلَ الموتُ وردكُ
وكنْتَ نهرَ بحارٍ لو عشتَ أحييتَ مجدكُ
وأهأَ لأقلامٍ علمٍ عدمنَ يا نهرُ مدكُ

(المصرى، لاتا: ٧٧٧)

الدعوة إلى التمرد من شدة الحزن

إن المؤمنين بالله يعتقدون بأن كل شىء أمانة الله فى يد الإنسان وهذا يرجع إلى إيمانهم بالله ومثابرتهم ومقاومتهم فى وجه البلايا ولئن بكوا على فقدان أعزائهم فإنهم لا يياسون وذلك لا يدفعهم إلى العصيان والكفر وإنهم يعرفون بأنهم لا يستطيعون على رد المصائب و إبعاده فيعتبرون كل مصائب فتنة الله ويقبلونها دون أن يقاوموا أمامها لأنهم مؤمنون بكلام الله تعالى: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ إيماننا تاما، خلافا لهؤلاء الذين ليس لديهم اعتقاد سديد فهذا يكون بكاء كثيرا لا يتوقف ويعتبرون موت الأشخاص ناشئا من ابتلائهم بواسطة الله تعالى.

قد يعجز الرائي تجاه الحزن الناشئ من فقد أولاده فيدعو الإنسان وكل الأشياء فى العالم إلى العصيان والتمرد وهذا ينبع من شدة المصيبة الذى اصيبت به. قد ينتهى هذا الحزن إلى التمرد والغضب؛ الغضب الذى يقع بعد كارثة ولكن لا يرى وسيلة للتعبير عن حزنه الكثير فيدعو إلى التمرد والعصيان «يعتبر الغضب واحد من المشاعر الأكثر إرتباكا الذى يختبره صاحب الحزن وينبع منه العديد من المشاكل للرائى.» (المعتمدى، ١٣٩٠ش: ٢٥٠ و ٢٥١) الخاقانى يقول:

به وفای دل من ناله برآرید چنانک چنبر این فلک شعوزه گر بگشاید

دل كبود است چو نیل فلک ار بتوانید بام خمخانه نیلی به تبر بگشاید
(حقانی، ۱۳۶۸: ۱۵۸)

توجعوا من صميم قلوبكم ولاء لقلبي وافتحوا بأنيكم دائرة هذا الدهر المشعوز.
صار قلبي كدرا كلون السماء فدمروا إن استطعتم سقف هذا الدهر الرمادي بالفأس
لنتخلص من ظلمه وشؤمه.

حينما يفارق ابن الحقاني الحياة ويقصد الأجل المحتوم ولده، يتطرق الشاعر طريق
العصيان في الابتداء ويشكو ويعترض على المصيبة التي انتهت إليه ويقول أقوالاً لم
يسبق أن يصدر منه فيحترق الشاعر في الأحزان من فقد ابنه ويتوقع من أنصاره
وأحبابه أن يساهموا في الحزن. نراه في قصيدة "ترنم المصائب" يصعد آهاته ويعتبر موت
رشيد الدين ظلم الزمان ويدعو إلى "سد الزنار" ١ حيث يقول:

پس بمویی که برید ز بیداد فلک همه زنار ببندید و کمر بگشاید
(الحقانی، ۱۳۶۸ ش: ۱۶۱)

بما أن الدهر ظلمني وقطع لي شعرا - أي سلب مني ولدي - فاصنعوا حزاما وشدوا
به بطنكم.

يرجع الحقاني موت ولده إلى "سوء تصرف الدهر" وظلمه فيبدأ بالشكوى التي لا
تنتهي عنده من الدهر فهذا يخاف من أنه إذا استمر في شكواه يمكن أن يملاً شكواه
العالمين ويقول:

دارم از چرخ تهی دو گله چندان که میرس دو جهان پر شود ار یک گله سرباز کنم
(نفس المصدر: ۵۴۲)

ها هو ابن نباتة الذي يؤلم من فقد أبنائه بالشدة فانظره كيف يدفعه شدة الحزن
بإنشاد الأبيات المؤلمة التالية:

فيا أساى تمرد و يا سلوى تمردك
و يا حيا الغيث أجزل لذابل العطف رفدك
واجعل بكاك عليه نداك و النوح رعذك

(المصرى، لاتا: ١٥٧)

الشعور بالذنب

من ردود الفعل العاطفية للشخص المحزون هو الشعور بالذنب بعد موت أحبائه. قد يشعر الراهب بالذنب لحياته بعد العزيز المتوفى ويعتبر نفسه يستحق اللوم. (ثابت، ١٣٩٢ش: ١٣٢) انظر الخاقاني كيف يشير إلى هذا الشعور ويشعر بالذنب والحياء بعد موت ولده الناشئ حينما يقول:

اين منم زنده كه تابوت تو گيرم در زر كآرزو بد كه دوات تو به زر در گيرم؟
(خاقاني، ١٣٦٨ش: ٥٤٤)

ها أنا ذا أعيش وأتفلس لكى أزيّن تابوتك وكنت أرجو أن أزيّن مبرتك .
يمكن العثور على هذه المشاعر فى الشعر الرثائى لابن نباتة المصرى. فى رأيه ليس للعيش بعد موت ولده خير وليس باستطاعته قبل هذه الحالة بعد أن فارقت ابنه الحياة:

لاينك اليوم أرجو ولستُ أرهبُ شدك
قضيتُ كفَّ مرادى فاقدح بقلبي زندك
لم أنسَ لثمكَ لما أحسستُ بالموتِ بعدك
أفٍ لقلبي إن لم يوفِّ بالحُزنِ ودك
أسكنتُ قلبيَ لحدك لا خيرَ فى العيشِ بعدك
ما الدارُ بعدكَ عندى أرى و إلا فعندك

(المصرى، لاتا: ١٥٦)

انظره فى شعر آخرله يرثى ولداله مات صغيرا:

خفَّ النجا بك يا بنى إلى السرى فسبقتنى وثقلتُ بالأوزار
ليت الردى إذ لم يدعكَ أهابَ بي حتى ندومَ معاً على المضمار
(نفس المصدر: ٢١٨)

كيفَ الحياةُ وقد دفتُ جوانجى ما بينَ أنجادٍ إلى أغوارِ
(نفس المصدر: ٢١٩)

إظهار العجز أمام حتمية الموت

الحقاني يعتقد بحتمية الموت وعبثية الحياة ويدرى أنه لا مفر من الموت، في رأيه كلنا عاجزون أمام القدر ويظهر مظاهر قبول هذه الحتمية في شعره فليس في رأيه باستطاعة شخص السيطرة على القدر وأحداثه الحتمية والأبدية كما يقول:

اي همه عاجز اشكال قدر ممكن نيست كه شما مشكل اين غم به هنر بگشايد
عقده بابليان را بتوانيد گشاد نتوانيد كه اشكال قدر بگشايد
جاي عجز است و مرانيست گمانى كه شما گر ه عجز به انگشت ظفر بگشايد

(الحقاني، ١٣٦٨ش: ١٦٢)

من ناحية أخرى نرى أن الشاعر العربي أيضاً يدرك حتمية الموت بعد أن قبل موت ابنه ويحاول أن يخفف عن نفسه وهو يدرك شيئاً عقلياً بعيداً عن العاطفة فيورد لنا أسماء معروفة في التاريخ (ابن ذى يزن) و(تبع) و(ذو سنداد) و(الزباء) ليدل على أن الموت أمرٌ لا بد منه، وليهون عن نفسه ألم فقدان ولده فكم من ملك هلك وكم من والد بكى ابنه واحترق قلبه لفقدته وبهذا يتوثل الشاعر إلى «حتمية الموت وعبثية الحياة وإنه مدركه لا محاله حتى لو كان في بروج مشيدة». (الكبيسي، ١٩٨٣م: ٣٠) فنجد الشاعر يقول في هذا المعنى:

بنى إن تُسَقِّ كاساتِ الحمامِ فكم مليكٍ حَسَنٍ كما شاء الزمانُ سقى
بنى إن الرَّدَى كَأْسٌ عَلَى أُمِّمٍ ما بينَ مُصْطَبِحِ منها ومغْتَبِقِ
ما رَدَّ سَيْفُ الرَّدَى سَيْفُ ابْنِ ذِي يَزْنَ ولانجاً تَبَعٌ في الزَعْفِ و الحلقِ
ولا احتَمَى عنهُ ذوسندادٍ في شرفِ ولا اختَفَتِ دونهُ الزُّبَاءُ في نفقِ

(المصري، لاتا: ٣٤٨)

نرى في الآيات بأن ابن نباتة بإنشادها إياها يذكر المعاني الإنسانية التي تصل إلى الحكمة في رثاء ولده وعد حادثة الموت أمراً لا بد منه يشترك فيها الناس جميعاً وبهذا تهون المصيبة.

بكاء الدم أو البكاء الدموي

يبكى الشاعران بكاء دمويًا وهذا يتجلى في أشعارشاعرين الرثائية. أبداع الحقاني

في هذا الفحوى غير أن شعر ابن نباتة في هذا المعنى خال من الإبداعات فهو حذا حذو المتقدمين تقليدا صرفا، نجد الخاقاني يقول:

چون سیاہی عنب کآب دهد سرخ، شما سرخی خون ز سیاہی بصر بگشاید
(الخاقاني، ١٣٦٨ش: ١٥٨)

لنتدقق عيونكم السوداء الدموع الدامية كما يقطر العصير الأحمر من العنب الأسود. يعتبر هذا النوع من المعنى جزءا لا ينفك من الشعر المملوكى عامة وشعر ابن نباتة المصرى خاصة وينبع هذا من تقليدهم من الشعراء العباسية وغيرها من أدوار الشعر العربى. انظر الشاعر ابن نباتة كيف يسيل دمعه الدموى:

يسيلُ أحمُرُ دمعى لما تذكَّرتُ خدك
مازال مبيض دمعى داعياً لدمعى حتى بكيْتُ ظلال الحسن بالشفق
(المصرى، لاتا: ١٥٦)

إظهار العجز واليأس على فقد الأولاد

نرى إظهار العجز واليأس من فقد الأجزاء في كل المراثى فلا يستثنى منها رثاء الشعارين الفارسي والعربي. وهناك نوع من اليأس يستولى على الخاقاني ويدعو إلى الاعتناء بحاله قائلا:

پشت من چون قلم توست که مادر بشکست که بدین پشت قباہای بطر برگیرم
چه نشینم که قدر سوخت مرا در غم تو برنشینم در میدان قدر درگیرم
در فراق تو از این سوخته تر باد پدر بی چراغ رخ تو تیره بصر باد پدر
(همان: ١٤٠)

من رسالات ودواوين وكتب سوخته ام دیده بینش این حال ضرر بگشاید
(همان: ١٥٦)

الشاعر يظهر عجزه وألمه ويأسه بسبب وفاة ابنه وفراقه ويشتكى من جور الدهر الذى ابتلاه بهذا البلاء العظيم ومن شدة الحزن يدعو على نفسه فقدان البصر الذى لا يرى الولد ولا يشاهده ويقول: لقد أحرقتُ رسائلى وكتبى ودواوينى فأعطوا البصيرة

لهذا الخاسر.

وانظر ابن نباتة كيف يظهر عجزه ويشعر بالعجز تجاه موت ولد له مات قبل أن يبلغ
عاما. ها هو ابن نباتة يقول:

يا راحلاً من بعد ما أقبلت مخايلٌ للخيرِ مرجوّه
لم تكتمل حولاً وأورثتني ضعفاً فلا حول ولا قوة

(المصري، لاتا: ٥٤٦)

نتائج البحث

إن هذا البحث يقدم رؤية عن بعض وجوه التشابه والافتراق في مراثي الشعاعين،
ومن أهم نتائج البحث:

اتجه ابن نباتة المصر في مراثيه اتجاهاً حكيمياً بينما لا نرى هذه الميزة في أشعار
الحقاني الرثائية.

لقد كابد كلا الشعاعين معاناة فقد أولادهما ومرارة موتهم ودعياً إلى البكاء الكثير
وصب العبرات على فقد أولادهما.

كل ما يسيطر على رثاء الأولاد في شعر الحقاني هو تعبير عن الحزن والحداد
ودعوة الجميع بالحداد على الفقيد؛ أي هو شخص ذو اتجاه جمعي ويدعو الجميع إلى
الحداد على الفقيد ومن جانب آخر يسيطر الاتجاه الفردي على رثاء ابن نباتة لأولاده.
تمتع الحقاني بقدرة الشعر والالتيان بالصور الإبداعية التي لا نراها عند ابن نباتة
وهو هذا حذو متقدميه في هذا المجال.

تتجلى مظاهر مختلفة من الثقافات الدينية والتاريخية والاجتماعية والفلسفية
والسوقية في مراثي الحقاني لولده إلا أنه لا يتمتع شعر الرثائي الأولادي لابن نباتة
بهذه الميزة.

من أهم وجوه تشابه الشعاعين في رثاء الأولاد هي "البكاء والتنهيد"، و"موت
الولد فاجعة"، و"تشبيه الأولاد المتوفية بالمظاهر المختلفة"، و"الإصابة بالأرق"، و"عجز
الإنسان أمام القدر والموت اللأبدية"، و"الدعوة إلى التمرد من شدة الحزن"، و"الشعور

بالذنب"، و"أظهار العجز أمام حتمية الموت.
من أهم وجوه الافتراق الشعاعين في رثاء الأولاد هي "الاتجاه في الرثاء"،
و"الأسلوب الخطابي"، و"عمق الرثاء"، و"القدرة في استعمال الصور الإبداعية".

المصادر والمراجع

- استعلامي، محمد. ١٣٨٧ ش. نقد وشرح قصائد الخاقاني. طهران: نشر زوار.
الاعتمادى، غلام حسين. (١٣٩٠ ش). انسان ومرگ، درآمدی بر مرگ شناسی. چاپ سوم. تهران:
نشر مرکز.
امامی، نصرالله. (١٣٦٩ ش). مرثیه سرایی در ادبیات فارسی (تا پایان قرن هشتم). اهواز: انتشارات
دفتر مرکزی جهاد دانشگاهی.
ثابت، عبدالرحیم. (١٣٩٢ ش). «روان‌شناسی ماتم‌زدگی در مرثیه‌های خاقانی». نشریه ادب وزبان
دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه شهید باهنر کرمان. سال ١٦. شماره ٣٤. پاییز و زمستان.
ص
حسن غنیم، محمد عبدالقادر. (لاتا). رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي. أطروحة
الدكتوراه.
خاقانی، افضل الدين بديل بن على نجار (١٣٦٨ ش). ديوان. تصحيح ضياء الدين سجادي. چاپ
سوم. تهران: انتشارات زوار.
الخطيب، حسام. (١٩٩٩ م). آفاق الأدب المقارن. عربيا وعالميا. دمشق: دار الفكر.
الزبيدي. (١٤٢٢ ق). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق عبدالكريم الغرابوي. الكويت: مؤسسة
الكويت للتقدم العلمي.
زنكنه، داريوش. (١٣٨٩ ش). «جستاری در سوگ سروده های خاقانی». فصل‌نامه علمی عمومی
زبان و ادب فارسی (گرایش عرفان) ادبستان. شماره ٣. صص ١٣٠-١١١.
الزوزني، الحسن بن احمد. (٢٠٠٦ م). شرح المعلقات السبع. تحقيق: محمد الفاضلي. ط ١. طهران:
مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.
سالم، عبدالعزيز الرشيد عبدالعزيز. (١٩٨٨ م). شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم. الكويت: وكالة
المطبوعات.
صفا، ذبيح الله. (١٣٦٣ ش). تاريخ ادبيات فارسی. ط ٦. طهران: نشر فردوسی.
ضيف، شوقي. (٢٠٠٧ م). تاريخ الادب العربي، عصر الدول والإمارات. الجزء الخامس. القاهرة: دار
المعارف.

- ضيف، شوقي. (١٩٧٩م). الرثاء. ط١٠، مصر: دارالمعارف.
- علوش، سعيد. (١٩٨٧م). مدارس الأدب المقارن. دراسة منهجية. الطبعة الأولى. لامك: المركز الثقافي العربي.
- الفاخوري، حنا. (١٤٢٧ق). الجامع في التاريخ الادب العربي. ج١. بيروت: ذوى القربى.
- القيرواني، ابوعلی الحسن بن رشيق. (١٩٨٨م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق: محمد قرقران. الطبعة الاولى. بيروت: دار المعرفة.
- القرطاجنى، حازم. (لاتا). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة. ط٣. بيروت: دار الغرب الإسلامى.
- المصرى، ابن نباتة. (لاتا). ديوان ابن نباتة المصرى. بيروت: شركة علاء الدين للطباعة والتجليد.
- كزازی، میرجلال الدين. (١٣٦٨ش). گزارش دشواریهای دیوان خاقانی. الطبعة الأولى. طهران: نشر مرکز.